٤ ـ كلمة وكليمة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

لا يَفشو الكَذِبُ إلا في الأمم الذليلة ؛ فاذا فقدوا سُلطةَ الحكم واستشعروا في الحياة معنى فقدها، سلّطوا أنفسهم على ما يَسهُلُ الحكمُ عليه لكل ضعيف : على المعاني في ألفاظها . . ولكنّ هذا أيضاً كَذِبٌ في الحكم . . .

* * *

إذا رأيتَ قوماً عَمَّهم الكَذِبُ في باب ما يُفتَخَرُ به ، فاجعل هذا وحده في تاريخهم بابَ ما سَقَطوا به

* * *

تمامُ بعضِ اللّذاتِ في الحِرمانِ من بعض اللذات

* * *

ما أسعدَ العقلَ الذي يتأثر ببَلاهةٍ كالطفل ؛ ولكن هل يُسَمّى هذا عقلا . . . ؟

* * *

الحبُّ في طبيعته حُمقٌ عاقل ؛ ألا تراه حين يُبغِضُ كيف ينقلبُ إلى الصورة الأخرى فيكونُ عقلاً أحمق ؟

* * *

أشدُّ العداوة لا تكون إلا من أشد الحب

* * *

كَرِهْت رجلاً في الدين ، وكرهتُ امرأةً في الحب ؛ فكان النزاعُ بيني وبين من كرهتُ كالنزاع بين دِينين لا بين شخصين

* * *

من أسخف ما رأيتُه تَنبُّلُ الموظّفين بثيابهم وظاهر هيأتهم ؛ تكون وظيفةُ أحدهم ستةَ جنيهات في الشهر ، وهو مدينٌ للخياط في اثني عشر . . يريد أن يقلد الرئيسَ الكبيرَ في تقرير مكانته بجاه الحكومة ؛ فيُقَرِّرها ولكن بجاه الخياط . . .

* * *

لو تاهَ غنيٌّ في الصحراء ونَفَدَ زادُه ثم أصابَ رغيفاً مُلْقى هناك — لعرف به لذةَ الفقر ، ولأدرك أن أغنى الغِنَى يعجزُ أن يُؤتِيَ النفسَ مثلَها . إن إمكان المُتعذّر هو وجودٌ تامٌّ السعادة بنفسه ، وهذا ما حُرِمَهُ الأغنياءُ وهو للفقراء كلَّ يوم

* * *

قاعدةُ الحياة أن ما امتنع على الجسم من شهواته جعلته الروحُ من مَسرّاتها ؛ ففي بعض الفقر نوعٌ من الثروة ، وفي نوع من الحرمان بعضُ العَطاء . ولكن أين الروحُ القويةُ التي تعرفُ هذا الضَّرْبَ من المعاملة وتصبر عليه ، وأكثرُ الناس في معاملة الله كالأبْلَهِ يُعْطَى صَكًّا بألف دينار على « البنك » فيحسبُهُ ورقةً كالورق فيمزّقُه أو يُلقيه ويذهبُ يَتَوَجّعُ من الفقر . . .

* * *

لا يَجمعُ الطفلُ على نفسه هَمَّين في وقتٍ معاً ، بل يَحْصُرُ نفسَه في الهمّ الواحد ليخرجَ منه أقوى وأسرع ما استطاع . ولكن أين من يقدرُ على هذا إلا الطفلُ في همومه الصغيرة ؟

* * *

رُؤيةُ الكِبارِ شُجاناً هي وحدها التي تُخرجُ الصغارَ شجاناً . ولا طريقةَ غيرُ هذه في تربية شجاعة الأمة

* * *

يقول أهلُ السِّياسةِ أحياناً في الاعتـــذار إلى الضعفاء المساكين : أيها العقلاءُ ! إن هذا لا يمكن أن يَحدث

والمعنى السياسيُّ : أيُّها البُلْه ! إنه لا يمكن أن يَحدُثَ إلا هذا . . .

* * *

إذا دام ما أرى من حماقة الشرقيين الناقلين عن أوربا ؛ فستَنقُلُ أوربا يوماً عن الشرقيين متى احتاجت إلى مَخازيها في شكل مَهَجي . . .

* * *

أبلغُ ما في السياسة والحب معاً : أن تُقالَ الكلمةُ وفي معناها الكلمةُ التي لا تقال . . .

* * *

الحربُ تصحيحٌ لخَطَإٍ وقَع في السِّلْم أو لما يزعُمُه القويُّ خطأً وقع . فلن تَنْتَهِيَ هذه الحربُ من الدنيا إلا يوم تُرَبّى الذئابُ تربيةً خروفيّة . . .

* * *

لا فرقَ بين زوجةٍ وجارةٍ في دار ، إن لم تجعل الزوجةُ

دارَها فى الزَّينة والمَرَح كأنما هى متزوِّجةٌ أيضاً

* * *

طبيعةُ المرأة بفنِّها منزليةٌ حجابيَّة . والدليلُ على ذلك وضعُ امرأةٍ جميلةٍ تعملُ فى مَصْنع فيه رجال . فطبيعتُها بفنها لا تجعلها حينئذٍ إلا بين اثنتين : إما أن تُطرَد من بينهم ، وإما أن تكون بينهم كالزوجة . . .

* * *

يمثِّلُ النساءُ الغاليات فى المطالبة بحقوق المرأة فصلاً من رواية العاطفة فى شكل فصل من الحق ؛ يُرْدِنَ المُطاردة والسلام . . .

* * *

كن الرجلَ فى معانيه القوية فلن تجدَ المرأةَ معك إلا فى أقوى معانيها

* * *

وَدِدْتُ والله لو أمكن أن يجتمعَ المطالباتُ بحقوق المرأة على زعيمةٍ واحدة يختارنها من نساء العالم كلِّه ؛ فلن تكون هذه الواحدةُ إلا المرأةَ التى يستحيلُ أن يتزوجَها رجلٌ فى العالم . . . . . .

* * *

قضت الطبيعةُ قضاءَها : أن سعادةَ المرأة فى أن تكون هى سعادةً لغيرها ؛ فنساء المعامل والحوانيت هنَّ . . . هن والله الشريدات المُتصعْلِكات

* * *

أنا مُستيقِنٌ أن العلم سينتهى إلى إثبات هذه القضية : إن المرأةَ مريضةٌ بأنها أنثى

* * *

الخطأُ والمرأة : كلاهما أكبرُ همِّه أن يظهرَ ويَغلِب . . .

* * *

طَلَبَ الخليفةُ المنصورُ إماماً زاهداً عظيماً ليُولِّيَه القضاء . فلما دخل الامامُ قال للمنصور : كيف حالك ، وكيف عيالك ، وكيف حميرُك . . . فقال أخرجوه فانه مجنون

كذلك يُضطرُّ الرجلُ العظيمُ أن يخرجَ أحياناً على عقل سواه ليخرجَ بعقله هو

* * *

الفيلسوفُ الحقُّ هو الذى ينتهى من نفسه إلى موضعٍ عقلىٍّ يكون فيه مع الحياة كما يكون القاضى فى موضعه العقلىّ مع الحوادث : تأتيه ليحكمَ عليها لا لتحكمَ عليه

* * *

قلةُ الرَّغَبات هى قلةُ هموم

* * *

استطراد

عندما انتهيتُ إلى هذا الموضع من تصنيف هذه الكلمات ، أُلقى إلىّ كتابٌ ورد من مدينة « حِمْص » يذكر فيه صاحبه ضيقاً وشدة ويسأل : « ماهو علاج الملل النفسانى واليأس الدنيوى ، إن لم يكن الموت ، إن لم يكن الانتحار ؟ »

ثم يرجو أن يتولاَّه أول عدد ينتهى إليه من (الرسالة) كيلا يبغىَ على نفسه ؛ وهأنذا أُعجِّل له كلماتٍ تأتى على أثرها إن شاءالله فى العدد التالى مقالة الانتحار

* * *

كان عُمَرُ بنُ الخطاب — وفى يده الدنيا — يشتهى الشهوةَ من الطعام ثمنها درهم ، فيؤخِّرُها سنة . يُثبتُ لنفسه بذلك أنها نفسُ عُمَر

* * *

ليس الذى ينتحر هو صاحبَ النفسِ العاملةِ بإيمانها ؛ فان هذا تنتحرُ شهواتُه ، ومطامعُه ، وخسائسُه

* * *

الانتحارُ كُفر صريحٌ يذهبُ بالدنيا والآخرة ؛ فاليائس وهو يفكر أن ينتحرَ إنما يقولُ لله بلغة فكره : إنك عاجز

* * *

أنت عجزتَ أيها الانسان فأيقنتَ أنك لا تستطيعُ أن تُغيِّرَ أطوارَ الدنيا ؛ ولكن كيف نسيتَ الذى يستطيع أن يغيِّرها وهو يغيرها كلَّ طرفةِ عين ؟

* * *

لا يمكن أن تُرضيَكَ الدنيا كلما أحببت ولا بكل ما تحب ، فلستَ أنت العاصمةَ فى مملكة الله ؛ ولكنَّ المتكن أن ترضى أنت بما يمكن

* * *

لقد عجزتَ أن تنال شيئاً فتعلُوَ به درجة ؛ أفعجزتَ أن تستغنى عنه فتنزل درجة ؟

* * *

فى الأرض ناسٌ على أطباقٍ بين الملك إلى الزبّال . أفيجتمع الزبالون جميعاً فى مجزرٍ لينتحروا إذ لم يكونوا ملوكاً ؟

* * *

ليست الدنيا بما فيها هى التى ترفعك عند نفسك أو تخفضُك ؛